العيد وتجلياته في الشعر الأندلسي

د. زينب بوصبيعة

جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة

إن الدارس للأدب الأندلسي سيقف لا محالة . على قدرة الشاعر على الغوص في خضم الحياة الاجتماعية المليئة بالصور الطريفة التي ترسم معالم المجتمع، وترصد مظاهره المختلفة والمختفة، الملونة بألوان البيئة الأندلسية الجامعة للمتناقضات والأضداد ،وبخاصة تلك المظاهر التي كانت تشحذ قرائح الشعراء وتحفزهم على النظم، ومن أبرز تلك المظاهر الاحتفال بالمواسم والأعياد المختلفة الدينية منها والاجتماعية، وبخاصة تلك الاحتفالات التي كان يقيمها الأمراء والملوك وأصحاب النفوذ في المجتمع، وسيحاول هذا البحث الكشف عن الأعياد التي حظيت بالعناية والحفاوة من قبل مسلمي الأندلس، وبرز مظاهرها العامة، وأبعادها المختلفة الاجتماعية، السياسية، الثقافية والحضارية.

أولا . الأعياد الإسلامية

1- عيد الفطر:

لقدكان مسلمو الأندلس يظهرون عناية كبيرة بشهر رمضان وعيد الفطر باعتبارهما مناسبة دينية عظيمة ترتبط مباشرة بالدين الإسلامي الحنيف، دين الدولة التي أقامت أسسها على مبدإ التسامح والعدالة الاجتماعية . وقدكشف الشعر عن الاحتفالات التي كان يقيمها الأمراء وأصحاب النفوذ في الدولة احتفاء بقدوم شهر رمضان، إذ جرت العادة أن يخرج الأمراء والأعيان للمشاركة في الفرحة برؤية الهلال. وفي هذا الشهر كان الناس يؤمون المساجد للعبادة والمناجاة فتستقبلهم هذه الأخيرة بأضوائها وأنوارها وكأنها تقاسمهم مشاعر نشوة الطاعة والعبادة. وسجل الشعر عادة ترقب هلال رمضان ولهفتهم إلى رؤيته، ومتى حصلوا على شرف المشاهدة، هللوا ورحبوا ووصفوه بأحسن الصفات والبسوه أبهى الحلل وقد تبارى الشعراء في وصف الهلال .وعبروا عن المشاعر العامة والخاصة نحوه، ومن ذلك قول أبي الحسن بن الزقاق:(الطويل).

وشهر أدرنا لارتقاب هلالـــــه عيونا إلى نحو السماء موائـــــلا
إلى أن بدا أحوى المدامع أحور يجر لأذيال الشبـــــاب ذلاذلا
فقلت له: أهلا وسهلا ومرحبا ببدر حوى طيب الشمول شمائلا[1]

وقد ترجم الشعر مشاعر المسلمين وجلى رؤاهم، وكشف عن المواقف المتضادة والمتباينة في الاحتفاء بهذه المناسبة السعيدة، فهناك جذل بحلول شهر رمضان وفي الوقت نفسه هناك لهفة على شرب الخمر يغالبها سلوك وآداب للصيام تدفعهم بقوة إلى التوبة وهجر الملذات، أملا في الفوز بمغفرة العزيز الغفار، يقول الشاعر أبو الحسن عبد الكريم بن فضال الحلواني : [البسيط]

قالوا غدا رمضان فاستعدّ تُقًـــى وتُبْ على الصوم واهجُر لذّة الكأس
إنّ الهلال يُرى حتما فقلت لهُم حتمتُم بشتات بين جُلاّســـــــي
فقال لي الغيم: لا تحفلْ بقولهم عليَّ سُترته فاشرب بلا بـــــاس
فقمتُ أعثرُ في ذيل المجون إلى جمعِ المسرّة بين الكأس والطاس[2]

هذا وإن كان مجون الشاعر واضحا في هذه الأبيات، فإنّه يعبر بصراحة عن أجواء الحياة في المجتمع الأندلسي الذي كان يجمع بين المتناقضات، ولعل شدة تمسك المسلمين بشعائرهم الدينية في هذا الشهر بالذات، هي التي دفعت بعض الشعراء الأتقياء إلى إسداء النصح للناس، ودعوتهم إلى صيانة حرمة هذا الشهر بصيامه وقيامه، والابتعاد عن اللهو ومزالقه، فقال الشاعر الفقيه أبو بكر بن عطية : [الكامل]

لا تجعلن رمضان شهرَ فُكاهةٍ تلهيكَ فيه من القبيح فنونُهُ
واعلم بأنّك لا تنالُ قبولَـــهُ حتّى تكونَ تصومُه وتصُونُهُ[3]

---

(1) هنري بيريس، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف،تر: الطاهر أحمد مكي.دار المعارف، القاهرة، ط1. 1988، ص202.

(2) العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، تح، محمد المرزوقي وآخرون، الدار التونسية للنشر، 188/1973.2

(3) الفتح بن خاقان، قلائد العقيان في محاسن الأعيان، تح محمد العنابي، دار الكتب الوطنية، تونس

وعلى الرغم من وعظ الوعاظ، ودعوتهم إلى الالتزام بتعاليم الإسلام ونهيهم عن جعل شهر رمضان شهر لهو ومجون، فإنه وجد الجان الذين لم يستطيعوا التقيد بآداب الدين الإسلامي، ولم يروا بأسا في معاقرة الخمرة، والتسلي بأنواع مختلفة من التفكه واللهو، غير أنهم لم يستطيعوا تحدي مشاعر العامة، ولذلك كانوا يفعلون ذلك متخفين عن أعين الناس. وقد رصد الشعر هذه الظاهرة السلبية أيضا، وقدم لنا صورة عن الحياة الاجتماعية والأخلاقية، تجلى من خلالها الصراع الفكري الناجم عن تشعب الحضارة ومزالقها، قال الشاعر أبوعبيدة البكري في حديثه الوجداني المتلبس بوسوسة الشيطان لرفاقه: [الطويل].

خليلّي إنّي قد طربتُ إلى الكاس وتُقْتُ إلى شمّ البنفسج والآسِ

فقوموا بنا نلهو ونستمع الغنا ونسرقُ هذا اليوم سرّا من الناس[1]

ففي قول الشاعر: «نسرق هذا اليوم سرا» ما يؤكد سلطة وقوة الرأي العام المسلم إزاء انتهاك حرمات هذا الشهر العظيم، تلك القوة التي كانت تدعمها سلطة الفقهاء القوية في المجتمع الأندلسي.

ونستخلص من هذا أن مسلمي الأندلس كانوا يسعون إلى المحافظة على تعاليم الإسلام ويؤدون شعائره،ويتجلى ذلك في ترقب الناس للشهر المبارك، والحرص على صيامه وقيامه، والدعوة إلى تجنب اللهو الذي يصرف صاحبه عن العبادة والطاعة: وقد أهم الهلال الشعراء وشحذ قرائحهم وأغرى شاعريتهم بلوحات فنية عند نهاية شهر رمضان وعودة العيد بالإحسان، فرسموا له صورة طريفة معبرة عن أفول الشهر وانتهائه، حيث يبدو الهلال نحيلا أصفر اللون، قال أبو الحسن بن هارون : (المنسرح).

ياليلة العيد عدت ثانيـة وعاد إحسانك الذي أذكر

إذ أقبل الناس ينظرون إلى هلالك النضو ناحلا أصفر[2]

(دت) ص 208.

(1) ابن الأبار: الحلة السيراء. ط1. تحقيق حسين مؤنس. مطبعة التأليف والترجمة والنشر، 1963م. 208/2.

(2) هنري بيريس،الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، مرجع سابق، ص202.

وعندما ينتهي الشهر ويأتي العيد، يقبل الناس على الصلاة في خضوع وخشوع، وقد أثارت تلك الصورة أيضا وجدان الشعراء، فعبروا عن إعجابهم الكبير بما يبدو على الناس من صدق الحس، وعظمة الإيمان في إحياء هذا الشهر وفي إقامة الصلاة، فقال محمد بن عبد الله المعافري (ت 543هـ): [الطويل]

إليك إله الحقّ قاموا تقيُّـــدا وذلّوا خضوعًا يرفعون لك اليدَا
بإخلاص قلبٍ وانتصاب جوارحٍ يخرّونَ للأذقان يبكُون سُجدَا
نهارُهُم ليلٌ وليلهُمُ هـــــدًى ودينُهُم رعي ودنياهُم سُدى[1]

وقد هنأ ابن زيدون حاكم قرطبة الوزير محمد ابن جهور بالعيد فقال: (الطويل)

هنيئا لك العيد الذي بك أصبحت تروق الضحى منه وتندى الأصائل
تلقاك بالبشرى وحياك بالمنـــــى فبشراك ألف بعد عامك قابـــل[2]

إلا أن انقضاء شهر الصيام كان يسبب ألما وحزنا للمتقين المخلصين مما استوجب تعزيتهم والتخفيف عنهم بالمدح وتعداد الفضائل، ولم تغفل عيون الشعراء عن تسجيل هذه الظاهرة الغريبة المعبرة عن تمايز الأدب الأندلسي وتفرده بهذه اللطائف ومن ذلك الشعر هذه القصيدة التي نظمها ابن زيدون مادحا فيها الوزير محمد بن جهور، وعزاه بانقضاء شهر رمضان، وشهد له بحسن أداء فريضة الصيام والقيام وملازمة المسجد بالركوع والسجود والتقى طمعا في ثواب الآخرة فقال: (الطويل)

نعزيك عن شهر الصيام الذي انقضى فإنك مفجوع به فمصـــــاب
هو الزوّر لو تعطى المنى وضع العصا ليزداد من حسن الثواب مثـــاب
شهدت لأدى منك واجب فرضـــه عليم بما يرضي الإله، نقـــاب
وجاورت بيت الله أنسا بمعشـــر خشوه فخروا ركعا وأنابـــوا
لقد جد إخبات وحق تبتـــل وبالغ إخلاص،وصح متـــاب
سيخلد في الدنيا به لك مفخـــر ويحسن في دار الخلود مـــآب

(1) الضبي. أحمد بن يحيى، بغية المتلمس في تاريخ أهل الأندلس، مديد،1889، ص82.
(2) ابن زيدون، الديوان، تح: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة، 1984،ص156.

وبشراك أعياد،سينمي اطرادهـــــا كما اطردت في السمهري كعاب
ترى منك سرو الملك في قشف التقى فيبرقها مرأى هناك عجـــــاب[1]

وكثر هذا اللون من الشعر في عهد المرابطين وما تلاه من العصور، إذ كان الشعراء في هذه المناسبة السعيدة ـ يتوجهون بالتهنئة إلى الحكام وذوي الشأن والسلطان من حماة الأدب ورعاة الشعر والفن، ونجد شاعرا كابن خفاجة يقف مع المحتشدين من الناس في أيام العيد، أمام الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين عام (510هـ) ويقول مهنئا ومستنجزا وعدا بالعطاء في قصيدة طويلة مدح فيها الأمير وختمها بهذه التهنئة المضمخة بعبق الطبيعة ونسيمها العليل، وأنفاس العذارى المائسات: (الطويل)

وهُنِّئْتَ عيدًا قد تَلَقَّاكَ قادِمـا ولم يكُ لولا أنّ طلعْتَ لِيَطْلُعَا
وحسبُكَ جَدٌّ قد أظلّكَ خادمًا فمَا هُوَ إلاّ أن تَقُولَ فيسمَعَـا
وحيّاكَ منْ فَرْعٍ لأشرَفِ دَوْحةٍ نسيمٌ كأنفاسِ العذارَى تضَوَّعَا[2]

ولم تتخلف المرأة الشاعرة في هذه المناسبة الدينية السعيدة عن تقديم تهانيها أيضا لذوي الجاه والسلطان، فهذه الشاعرة حفصة تتقدم إلى أبي سعيد أمير غرناطة لتزجي بأمانيها الطيبة للأمير وتهنئه بالعيد الذي جاء لتجديد الملذات وبعث الفرح والسرور بالحياة من جديد، فقالت: [مجزوء الكامل].

ياذا العُلا وابن الخليفةِ والإمامِ المرتضـــى
يُهنيك عيدٌ قد جـرى فيه بما تهْوَى القَضَا
وأتَاكَ من تَهواه فـــي قيدِ الإنابة والرِّضـــا
ليُعيدَ من لذّاتِـــــه ما قد تصرّم وانقضى[3]

---

(1) م.ن، ص 119.

(2) ابن خفاجة، الديوان، تح،سيد غازي، منشأة المعارف بالاسكندرية، ط2، (دت)ص60.

(3) المقري،شهاب الدين أحمد بن محمد،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تح، إحسان عباس، دار الكتاب العربي، بيروت، 1988م، 177/4.

وإذا تركنا تهنئة الأعيان، وأبحرنا في الحياة ألفينا الناس عامة يحسون بفرحة العيد ويتبادلون فيما بينهم الهدايا والتهاني، ويتزاورون معبرين عن سعادتهم وسرورهم وأبو بكر بن حبيش قد عبر بطريقته الخاصة عن تلك السعادة التي أدخلته جنان الوصال، فقال : [السريع]

العيدُ لي وحْدي بينَ الورى ... حقًّا لأني قد رأيتُ الهلالْ

صومِيَ مقبولٌ وبرهانُـــهُ ... إنِّي أُدخِلتُ جنّانَ الوِصالْ[1]

2- عيد الأضحى:

هو عيد إسلامي أيضا لا تقل الفرحة فيه عن الفرحة بعيد الفطر، ويسمى عيد النحر لذبح الأضحية فيه، ويتقدم فيه الناس كذلك بالتهنئة لأصحاب السلطان والأقارب. والأصدقاء على نحو ما ذكرنا في عيد الفطر، ولكن الجديد فيه، هو العناية الشديدة بخروف العيد، وانشغال الناس به حيث كانوا يجتمعون ولوفي لقاء عابر للتسلية، ويتخذون الخراف مدارًا للمداعبة مما يدل على تأصل روح الفكاهة فيهم، وذيوع خلق التسامح اللطيف فيما بينهم، ولا زالت هذه العادات قائمة في بعض المجتمعات الإسلامية إلى يومنا هذا.

ولعلّ السؤال المطروح هنا، هو كيف عبر الشعراء عن هذه المناسبة المميزة وبما وصفوا الخروف، وما عواطف الناس نحوه؟ ويجيبنا عن هذه التساؤلات ابن خفاجة إذ يروى أنه داعب صديقا له من الشعراء، مهنئا إياه بالعيد السعيد، وبالجديد من الثياب كما هنأه أيضا بنعجة العيد في أسلوب غزلي فكاهي، صورفيه جمالها ولونها الأحاذ، واكتناز جسمها بألوان من اللحم والشحم، فقال: [المتقارب].

لِيَهنَكَ وافدُ أُنسٍ سَـــرَى ... فَسَرّى وفَصْلُ سُرورٍ طَـــرَقْ

فما شِئْتَ من ماءِ وَرْدٍ بِـــه ... أرَاقَ ومنْ ثَوبِ حُسْـــنٍ أَرَقّ

وَسَوداءَ تَدْمَى به مَنْحَـــرًا ... كما اعتَرَضَ اللّيلُ تَحْتَ الشَفَقْ

ستخْلَعُ من فَرْوِها ضَحْـوةً ... سَوَاد الدّجى عن بَيَاض الفَلَـقْ

---

(1) المقري:المصدر السابق، 16/4

فيا حُسْنَ خَصْرٍ لها أخمـــرٍ ومِئْزرِ شَحْمٍ عليه يقـــــــقُ
وما رفَلتْ في قميصِ الدُّجى ولا استشملَتْ برداءِ الغَسَـــقُ
ولكنْ تسيلُ عليها القُلُـوبُ هوًى وتذُوبُ عليها الحـــدقُ[1]

وقال في مقطوعة أخرى يصف كبشا وهو يمرح وسط النعاج، ويذكر العيد المجدد للأماني من عهد الشباب : [الطويل]

ألاَ حبّذا عيدٌ تلاقتْ به المنـــى فجَدَدَ من عهدِ الشبابِ مَشِيبُ
وأعْرضَ في حُسْنِ المليحةِ أملحٌ يُلاعِب ربَّاتِ الحِجَالِ زَبـــيبُ
تَهَادَتْ تثَنّى وهو يُذْعَرُ فالتـوى ضِبٌ بها وارتَج منه كثيـــبُ
وسَوْذاء أمّا نِسبةً فهِي نعجـــةٌ تَرُوقُ وأمّا نِصبَةً[2] فنجيـــبُ
أقامَ بها ما بين ظلّ ومـــــورِدٍ مرادٌ يبطن الوادِيَيْنِ خَصِيـــبُ
أتتكَ وأفياءُ الشبابِ تُظلهـــا وهل زارَ إلاّ في الظَّلامِ حبيـــبُ
فَطُفْتَ بها تمشي الهُوينَى وإنمّا مشى إليها وهْيَ تَجْهَلُ ذِيـــبُ[3]

لقد عبر الشاعر عن سروره بالعيد وإعجابه بهذا الكبش، الذي راح يداعب ربات الجمال من النعاج، ومعه نعجة أصيلة، وبهما تتحقق الأماني المعسولة، ويستكمل العيد بهجته وقد مشى صديقه بهما مباهيا ومفاخرا، وأجمل ما في هذا الشعر هو قدرته على صياغة العواطف والمشاعر الإنسانية المتجددة دوما بتجدد دقات القلب وحرارته.

ثانيا: أعياد غير إسلامية

1. عيد النيروز:

إذا تجاوزنا الأعياد الإسلامية في الأندلس وأبحرنا في خضم الحياة الاجتماعية ألفينا أعيادا وفدت على المجتمع الأندلسي من مجتمعات أخرى، منها عيد النيروز أوالنوروز الفارسي الأصل ومعناه : اليوم الجديد، ويقال إن أول من اتخذ النوروز عيدا هو جمشيد أو

(1) ابن خفاجة. الديوان. تح، الدكتور سيد غازي، مصدر سابق،ص151 152.
(2) النصبة: مائدة تصنف فيها الفواكه. ينظر: المقري. نفح الطيب. 234/3.
(3) ابن خفاجة. المصدر السابق. ص152 153.

جمشاد أحد ملوك الفرس،[1]، وقد اقترن الاحتفال به في الأندلس بالاحتفال بفصل الربيع هذا الفصل الذي كانت له مكانة خاصة في قلوب الأندلسيين الذين عرفوا بحب الجمال وعشق الطبيعة، ومن ثمة وجد عيد النيروز عناية كبيرة إذ كانوا يعتزون به كثيرا، حتى جعلوا الليلة السابقة له من أنسب الليالي لعقد الزيجات على نحو ما صنع الحاجب المنصور ابن أبي عامر الذي تزوج من أسماء ابنة غالب في ليلة عيد النيروز[2]. وكانوا يقدمون في يوم الاحتفال بهذا العيد حلوى تصنع في شكل مدائن ذات أشكال جميلة. ووصفها أبو عمران موسى الطرياني وقال مغزا: [الرجز]

مدينة مسـوّرهْ تحارُ فيها السحـره
لم تبنِها إلاّ يـدا عذراءَ أو مخـدّره
بدَتْ عروسًا تجتلي من دَرْمَكٍ مُزَعفـرهْ[3]

لقد أبدع الشاعر في وصفه لهذه الحلوى، وعرفنا بالمادة التي تصنع منها وقدم لنا معلومات دقيقة عن الذين يقومون بإعدادها وهنّ فتيات المنزل اللائي يصنعن العجينة من نوع جيد من الدقيق، وبعد نضج الحلوى تقطع بالأصابع دون استخدام السكاكين. كما كانوا يقدمون في هذا العيد الهدايا السنية تحية وإكبارا، وقد أهدى ابن عمار للمعتمد بن عباد رداء من الصوف البحري، وهو نوع من الملابس النادرة قائلا: [الكامل].

ولمّا رأيتُ النّاسَ يحتفلون فـي إهداءِ يومِكَ جئتُه من بابـه
فبعثتُ نحوَ الشّمسِ شبه آياتها وكسوتُ متنَ البحر بعضَ ثيابِه[4]

وقد ردّ المعتمد على هذه التحية بأحسن منها، إذ وجه إلى ابن عمّار مكيّة فضة فيها خمسمائة ذهبًا ومعها شعر يقول فيه: [الكامل]

---

(1) المقريزي، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1987 م، ط2، ج1، ص493

(2) ينظر : هنري بيريس، المرجع السابق،ص271.

(3) المقري، المصدر السابق، ص5/ 204.

(4) الفتح بن خاقان. المصدر السابق. ص84 85.

هبةٌ أتتكَ من النّضارِ ألوفُهـــا فاغنمْ جزيلَ المال من وهّابِه
فالبحرُ يطفحُ جودَ مالك ماخرًا لما كسوتَ البحرَ بعضَ ثيابه[1]

ولما كان هذا العيد مرتبطا بالطبيعة، فقد كان الشعراء ينتهزون هذه الفرصة الثمينة ليصفوا ما طرأ على الطبيعة من زينة وتجدد، وربما خرجوا للتنزه في رحابها، والتمتع بجمالها الفاتن، وفي هذا المجال يقول ابن شهيد في قصيدة نظمها في مدح سليمان المستعين واستهلها بوصف الطبيعة مرحبا بقدوم النيروز : [الكامل]

وأتاك بالنيروزِ شوقٌ حافـــزٌ وتطلّعٌ للزّوْرِ غِبَّ تَطلُّـــعِ
وافاك في زمن عجيب مونـــق وأتاك في زهرٍ كريمُ مُمْتَـــعِ
فانظر إلى حُسنِ الرّبيع وقد جَلَتْ عن ثوبِ نوْرٍ للربيع مُجَـزّعِ
فكأنّ نرجسها وقد حشدتْ بـــه زُهرُ النجومِ تقاربتْ في مطلعِ[2]

2-عيد المهرجان:

إن كلمة المهرجان كلمة مركبة من المهرو معناه: الوفاء، وجان معناه :السلطان أي سلطان الوفاء، وقيل: مِهْر بمعنى المحبة وجان (بالجيم المعربة) بمعنى المتّصلة أي المحبة المتصلة. وهو عيد فارسي الأصل ويعرف عندهم بعيد الشمس أو عيد المهرجان، ويذكر أنه يوافق عيد الميلاد عند النصارى، ولا يزال الفرس يحتفلون به إلى هذا العصر[3]. وطرأ على بلاد الأندلس مثل عيد النيروز[4]، وقد ذكر ابن القوطية في أبيات توجه بها إلى الوزير أبي عامر بن مسلمة الأعياد الثلاثة الكبرى في الأندلس فقال: [الخفيف]

دُمْتَ للمهرجانِ والعيدِ والنيروزِ إلفًا من الحوادثِ سالم[5]

ويفهم من ذكر "العيد" في قول ابن القوطية أنه عيد الفطر حيث ينتهي من صوم رمضان، فيتوجه الناس والشعراء في هذه المناسبة إلى تهنئة الحكام والأعيان وخاصة المشجعون منهم للأدب والفن.

---

(1) لمح الشعر، الورقة 28، نقلا عن: أحمد حسن النوش. المرجع السابق. ص234.
(2) ابن شهيد أحمد بن شهيد. الديوان. تحقيق يعقوب زكي. دار الكتاب العربي، (دت). ص125.
(3) الرابط: http://www.alukah.net/Web/hogail/10699/1774/#ixzz2KCOe6C4i
(4) عمر إبراهيم توفيق. صورة المجتمع الأندلسي في ق5هـ،غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2010 ص15.
(5) هنري بيريس. المرجع السابق. ص271.

إن الأندلسي ميال بطبعه إلى الألفة على الرغم من كونه يعيش في محيط متعدد الأصول، ولا "يجمعهم رابط قومي واحد ولا دين واحد إلا رابطة السلطة المركزية القوية"[1] للدولة الإسلامية التي أفاءت على كل الأجناس والشعوب بظل الحرية والمساواة في الحقوق والواجبات دون تمييز في الجنس والعرق والدين[2]، وقد تحسس الشعر عوامل التواصل بين أبناء تلك الشعوب، وصور حياة الفئات الاجتماعية وأضاء جوانبها وقد ذكر المقري في كتابه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب "بعض النماذج التي تصور طباع المجتمع الأندلسي[3]،كما صور الشاعر أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد مظهرا من مظاهر حب الطبيعة وأجوائها السحرية، ودعا الآخر إلى اغتنام لحظات المتعة، واختلاس سويعات من الزمن للاستمتاع واللهو في عيد الطبيعة والمهرجان فقال : [الكامل].

يا حسنَ يومِ المهرجانِ وطيبَهُ يومٌ كما تهوَى أغرُّ مُحَجَّلُ

سرّحْ لحاظك حيث شئت فإنّه في كلّ موقعِ لحظة مُتَأَمَّلُ[4]

أما الشاعر علي بن أبي الحسين، فقد رسم لوحة جسد فيها الأعياد التي يحتفل بها الأندلسيون، وخلع عليها الحياة ورتبها حسب أهميتها وقيمتها الدينية والاجتماعية، فقال:

قد دنا الصوم في صفوف حسان وبدا المهرجان آخر صف

ولشعبان بالشمول بقايـــــــا كبقايا الحناء في رسم كف[5]

3- عيد الفصح:

جاء في كتاب الخطط المقريزية: أن يوم الفصح هو اليوم الذي خرج فيه موسى عليه السلام وقومه من مصر، وبعده بثلاثة أيام عيد القيامة وخروج المسيح من القبر[6]، فالفصح عند اليهود: عيد تذكار خروجهم من مصر، وهو تعريب فسْح بالعبرانية ومعناه

---

(1) عمر إبراهيم توفيق،المرجع السابق، ص91.

(2) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج1، مكتبة الأسرة، القاهرة 2003م،ص30.

(3) ينظر: المقري، المصدر السابق،ج205/1إلى 207.

(4) ابن سعيد.المغرب في حلى المغرب:تح،شوقي ضيف،القاهرة، دار المعارف،168/2.

(5) ابن الكتاني أبو عبد الله محمد، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس،تح، إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط2، 1981م، ص273.

(6) كتاب المواعظ. م. س، ج2، ص501 .

الخنازير وعبور أو نجاة، وعند النصارى :عيد تذكار قيامة المسيح.

وفي الأندلس هو خاتمة الأعياد، بل هو عيد من الأعياد الكبرى التي يحتفي بها الأندلسيون ويستغلون أوقاتهم في المرح والسرور، والاحتفال به مظهر من مظاهر تشعب حضارة في الأندلس، ونموذج للتعايش بين الشعوب المختلفة الأعراق والديانات، ومثال لسماحة الإسلام والمسلمين، ففي هذا العيد كان المسلم يشارك المسيحيين فرحتهم[1]، وذلك بالابتهاج بهذه المناسبة والخروج إلى المتنزهات للتمتع بجمال الطبيعة، وقد سجل الشعراء أيامهم السعيدة التي قضوها بين أحضان الطبيعة في ذلك العيد، فهذا ابن زيدون يتشوق إلى أيام اللهو بقرطبة وبخاصة تلك الأيام التي قضاها محتفلا بعيد الفطر أو عيد الفصح، فقال: [الطويل]

وأيامُ وصلٍ بالعقيق اقتضيتُهُ ... فإلاّ يكنْ ميعادُه العيدَ فالفصحَا

وآصالُ لهوٍ في مُسنّاةِ مالك ... مُعطاة نَدْمانٍ إذا شئتَ أوسَبْحا[2]

أمّا ابن الحداد، فيدخلنا في هذا العيد إلى إحدى كنائس المسيحيين وراء محبوبته النصرانية "نويرة" فيتبع خطاها ويهيم بحسنها وجمالها وزيّها البدوي المحتشم، ثم رسم لنا صورة دقيقة لما كان يحدث في ذلك اليوم، من احتشاد المسيحيين داخل الكنائس وكيف كانت تجري المراسيم الدينية احتفاء بتلك المناسبة. وقد أبدع الشاعر في تصوير تجربته النابعة من المجتمع الأندلسي المتفرد بعناصره البشرية المختلفة في الديانة، المتحدة والمنسجمة في التسامح وحب الجمال: [السريع]

قلبي في ذاتِ الأُثَيْـــلاتِ ... رهينُ لوعاتٍ وروْعـــاتِ

فإنّ بي للروم روميـــــةً ... تكْنِسُ ما بينَ الكنيساتِ

أهيمُ فيها والهوى ضَلّـــةٌ ... بين صوامِيعٍ وبيعَســاتِ

وفي ظِباءِ البدوِ من يــزدري ... بالظبياتِ الحضريـــاتِ

---

(1) ابن زيدون. الديوان،تح، كرم البستاني،بيروت،دار الطباعة والنشر،1984م. ص21.

(2) ابن بسام الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق1، 705/2.

أفصحُ وحْدِي يومَ فصحٍ لهُمْ بين الأزَيْطي والدُويحاتِ
وقد أتوا منه إلى موعـــــدٍ واجتمعوا فيه لميقَـــاتِ
بموقفٍ بين يديْ أسقُـــفٍ مُمسِكٍ مِصْباحٍ ومنْـــاةِ
وكلُّ قسٍّ مُظهرٍ للتُّقَـــــى بآي إنصات وإخبـــاتِ[1]

وعلى الرغم من الحب الكبير الذي كان الشاعر يحمله في قلبه لنويرة، فإنها ظلت رافضة حبه كارهة له، بل هو بالنسبة الآخر الذي تحب محاربته وصده من القلب بل من الوطن، إن قصة الشاعر مع نويرة هي قصة العرب المسلمين في الأندلس.

وخلاصة القول: إن للشعر الأندلسي قيمة وثائقية كبيرة تدافعت بقوة مع جمالية النص الأدبي، وقد نجح الشعراء في تصوير المجتمع الأندلسي ووصف أجوائه المفعمة بالحب والتسامح، من خلال رصدهم للاحتفال بالأعياد الدينية والمناسبات وتبين لنا أن تلك الأعياد كثيرة ومتنوعة الأصول، فمنها ما يعود إلى أصول إسلامية كعيد الفطر والأضحى، ومنها ما يعود إلى أصول مسيحية كعيد الفصح، ومنها الفارسي الأصل كالنيروز والمهرجان، وقد كان معظم السكان يشاركون في تلك الاحتفالات بغض النظر عن عنصرهم ودينهم مما يؤكد أن الحضارة الإسلامية في الأندلس كانت حضارة عريقة تعايشت فيها الأجناس المختلفة الأديان والأعراق .

(1) ابن بسام، المصدر السابق،ق2،1/705.